البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

ملف العدد

البلاغة الغربية الجديدة

بلاغة الحجاج (الخطابية)

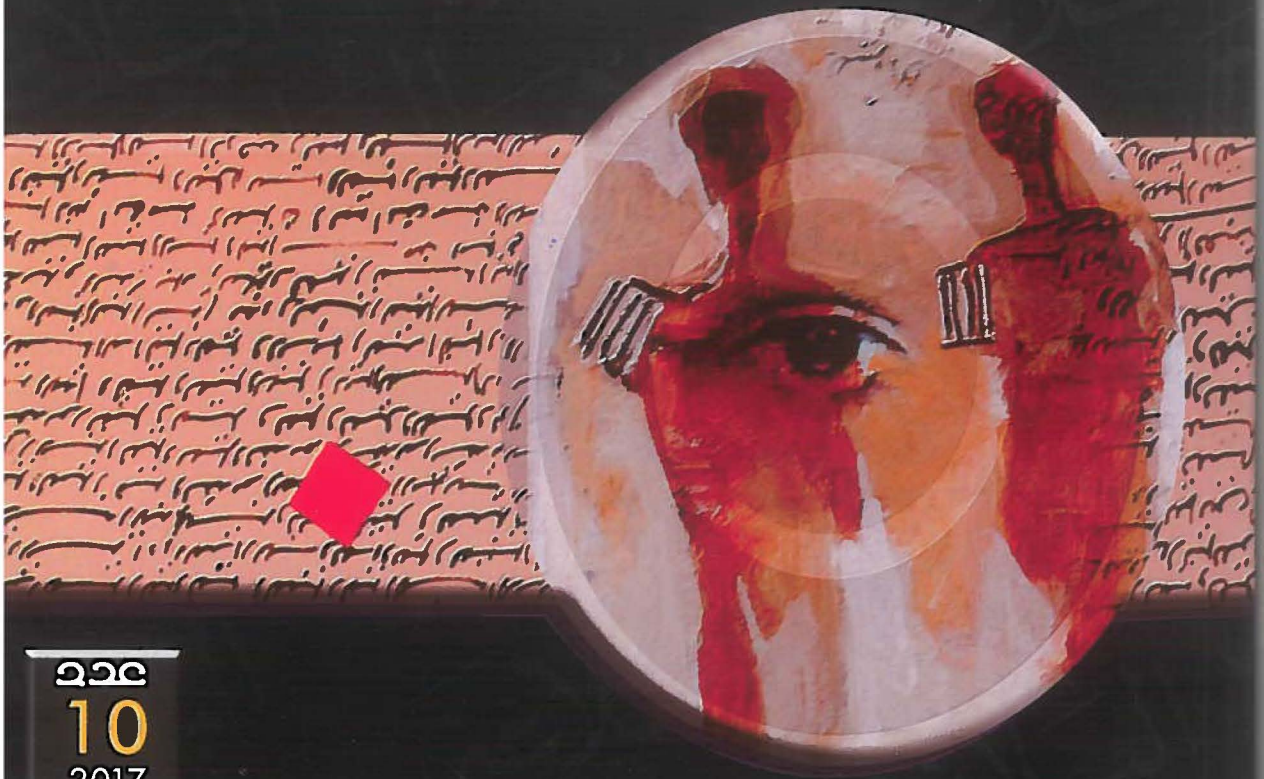

عدد
10
2017

البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

المدير المسؤول : ادريس جَبري

هيئة التحرير :

الحسين بنو هاشم — عبد الرحيم وهابي
عبد القادر بقشي — امحمد واحميد

هيئة التحكيم :

محمد العمري — محمود ميري
محمد الولي — حسان الباهي
سعيد بنكراد — محمد مشبال
سعيد يقطين — محمد الظريف
عماد عبد اللطيف

العدد : 10 - 2017

■ عنوان المجلة : ص. ب : 243 – بني ملال (23000) – المغرب.
■ الهاتف /والفاكس : 0523481666/ الهاتف النقال : 0668022157
■ الموقع الإلكتروني للمجلة : www.albalagha.net
■ البريد الإلكتروني للمجلة : – albalagha@albalagha.net
– jabridriss@albalagha.net
– jabridriss@gmail.com

1- الدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، والتي لم تنشر لا ترد إلى أصحابها.
2- يخضع ترتيب المقالات لاعتبارات تقنية فحسب.

طبع هذا العدد المزدوج بدعم من وزارة الثقافة

■ الإيداع القانوني رقم : 2012 PE 117
■ الملف الصحافي : 2012/09
■ ردمد : 2028-9456
■ طبع : مطبعة النجاح الجديدة– الدارالبيضاء.
■ توزيع : سابريس Sapress
■ غلاف من تصميم الفنان : عبد الله لغزار.

النشر في المجلة

تنشر مجلة «البلاغة وتحليل الخطاب» جميع الدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية، الأصلية والمترجمة، الداخلة في مجال اختصاصها، المراعية لشروط البحث العلمي الأكاديمي.

ويشترط أن تكون مكتوبة باللغة العربية مستوفية لشروط البحث العلمي الأكاديمي، ولم يسبق نشرها.

ترتيبات النشر :

1- ترسل المشاركات العلمية إلى المجلة على بريدها الإليكتروني، مطبوعة على الوورد بحجم Simplified Arabic 14 في المتن، وبحجم 12 في الهامش والمراجع، وحجم 10 بالنسبة للغات الأجنبية.

2- يتراوح طول البحث أو الدراسة بين 3000 و 4000 كلمة.

3- في حالة الترجمة يُرفق النص المترجم بالنص الأصلي.

4- توضع الإحالات في أسفل الصفحات : «جديد لكل صفحة»، مع الاقتصار على اسم المؤلف والمرجع والصفحة.

5- تثبت المصادر والمراجع والدوريات، باللغة العربية أو الأجنبية في آخر الدراسة، منفصلة عن الإحالات ؛ وذلك على الشكل الآتي : اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، الطبعة، السنة ؛ وإذا كان مقالا، يوضع بين حاصرتين «...»، ويذكر العدد أو المجلد والسنة. ويراعى في إعداد كل ذلك الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

6- يبلغ أصحاب المساهمات بتسلم مشاركاتهم العلمية فور التوصل بها، على أن يتم إخبارهم بقبولها للنشر، بعد عرضها على محكمين، على نحو سري.

7- تطلب المجلة ـ في إطار التعاون العلمي ـ من صاحب البحث إجراء التعديلات الضرورية، عند الاقتضاء.

الفهرس

كلمة العدد 7

1. آفاق البلاغة الغربية الجديدة ومساراتها.

■ البلاغة وإنتاج النص.
أرون كيبيدي فارگا/ ترجمة وتقديم : محمد العمري 15

■ الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديدتين.
محمد الولي 37

■ البلاغة الغربية المعاصرة، مدخل موجّه للباحث العربي.
عماد عبد اللطيف 57

■ اختزالات البلاغتين الجديدتين.
ألان لومبرور/ ترجمة : محمد البقالي/ مراجعة : محمد مشبال 83

2. في بلاغة الحجاج (الخطابيّة)

■ منزلة الإيتوس في البلاغة الجديدة.
محمد مشبال 105

■ البلاغة والحجاج، وعلم الأشكلة.
ميشيل مايير/ ترجمة وتقديم : ادريس جبري 115

■ نظرية المواضع المشتركة، علم دلالة أم خطابية ؟
جون كلود أنسكومبر /ترجمة : الحسين بنو هاشم 133

■ المنطق الصوري والمنطق غير الصوري.

شاييم بيرلمان/ ترجمة : أنوار طاهر 149

■ أبحاث أمريكية في المواضع البلاغية.

ميخائيل ليف / ترجمة وتقديم : عبد الرحيم وهابي..... 157

البلاغة الغربية المعاصرة

مدخل موجّه للباحث العربي

عماد عبد اللطيف[1]

البلاغة المعاصرة للباحث العربي

يهدف هذا البحث إلى تقديم مشهد بانورامي لحالة علم البلاغة في العالم الغربي الناطق بالإنجليزية في الفترة من 1980 إلى 2015 ؛ بهدف تعريف القارئ العربي بالانشغالات الراهنة في حقل الدراسات البلاغيّة. والمستهدف بهذا البحث هم دارسو البلاغة العرب الساعون نحو ارتياد آفاق غير مطروقة في البلاغة العربيّة، مسترشدين بالمنجز البلاغي الغربي.

لتحقيق هذا الهدف أقدم للقارئ العربي ستة توجّهات أساسية، ربما تُمثّل بعض أهم التوجّهات في البلاغة المعاصرة. أعرض في كل توجّه لأسسه النظرية، وموضوعات البحث فيه، ومنهجياته أو أطره التحليلية. سوف أسعى على وجه التحديد للإجابة عن سؤالين أساسيين، هما : (1) ما الذي يميز كلٍ توجه من هذه التوجهات البلاغيّة ؟ (2) ما الذي يمكن أن يُفيده الباحث العربي من كل توجه منها ؟ وأختتم تقديمي لكل توجّه بقائمة من موضوعات البحث التي يمكن للباحثين العرب القيام بها. وتعظيماً من فائدة هذا المدخل الموجه للباحثين العرب ؛ ذيلتُ عرضي لكل توجّه بقائمة محدودة من الكتب الأساسيّة فيه، بهدف تيسير الأمر على الباحثين الراغبين في التواصل المباشر مع الأعمال المؤسّسة لهذه التوجّهات.

تتضمّن قائمة التوجّهات البلاغيّة التي أقدمها في هذا البحث ما يأتي :

1. البلاغة المرئيّة Visual Rhetoric
2. البلاغة الرقميّة والافتراضية Digital & Virtual Rhetoric
3. البلاغة عبر الثقافات Cross-cultural Rhetoric
4. البلاغة النقديّة Critical Rhetoric

---

(1) جامعة قطر وجامعة القاهرة.

5. القراءة الفاحصة Close Reading

6. منطقة البحث في البلاغة والإيديولوجيا Rhetoric and Ideology

الكلمات المفاتيح : البلاغة الغربية - البلاغة العربية - بلاغة المرئي – البلاغة الرقميّة – البلاغة عبر الثقافات – القراءة الفاحصة – الإيديولوجيا

البلاغة «الجديدة» و«الحديثة» و«المعاصرة» : أوصاف مطلقة ومتعينات محدودة

لا يُعدم متصفح كتب البلاغة مصادفة تعبيرات مثل «البلاغة الجديدة»، و«البلاغة الحديثة»، و«البلاغة المعاصرة» في الدراسات البلاغيّة العربية. وغالبًا ما تشير هذه التعبيرات إلى إدراك مستعملها أن ثمة بلاغتين أو بلاغات ؛ بعضها قديمة، تقليدية، غابرة، في مقابل أخرى جديدة، حديثة، معاصرة. يبدو هذا التمييز بديهيًا، حين نضع في الحسبان واقع التطورات المتلاحقة في مفهوم هذا العلم وموضوعاته وحدوده ومناهجه، حيث يصبح التتابع الزمني متضمّنًا في حد ذاته لمعنى المغايرة والتطور. ومع ذلك، فإن مثل هذه التقييدات الزمنية لا تقول لنا الكثير في معظم الاستعمالات العربيّة الراهنة. وهي في الحقيقة قد تُربك أكثر مما تُعرّف. ويرجع ذلك إلى غياب التمييز الدقيق بين دلالاتها، وغموض ما تحيل إليه في واقع الاستعمال.

لعل أبرز تجليات غياب التحديد الدقيق لدلالة هذه التوصيفات، هو أنها قد تُستعمل على سبيل التبادل، بوصفها مترادفات يمكن لأحدها أن يحل محل الآخر. فضلاً عن ذلك، فإن ثمة علة أخرى لغموض دلالة هذه التوصيفات هو أنها مشروطة بالواقع الخارجي الذي تحيل عليه ؛ فهي – مثلها مثل كل الإحالات الزمنيّة – لا تتعين دلالتها إلا بالتحديد الدقيق للعالم الخارجي المشار إليه. فالمعاصر، إنما هو معاصر فقط، بالنسبة إلى من يستعمل هذا الوصف في لحظة زمنية-تاريخيّة محددة. ومن الطبيعي أن ما هو «معاصر» بالنسبة لباحث ما، سرعان ما يتحول إلى «حديث» بعد فترة من الزمن، و«قديم» بعد فترة أكبر، و«عتيق» بعد فترة أطول، و«بائد» بعد ردح كبير من الزمان.

بعبارة أخرى، فإنني حين أستعمل تعبير بلاغة «حديثة»، أو «جديدة»، أو «معاصرة»، إنما أتحدث عما هو حديث أو جديد أو معاصر بالنسبة إليّ أنا (مؤلّف هذا المقال) في لحظة زمنيّة محددة، وعلى أقصى تعميم، بالنسبة لمجايليّ في الزمن نفسه، لا أكثر. والخلاصة أن استعمال هذه التسميات لن يكون دقيقًا إلا إذا عُيّن بواسطة التحديد الزمني الدقيق. وفي مرحلة لاحقة، أظن أننا ربما نشهد تراجعًا عن استعمال توصيف «الجديد»، «القديم»، أو «المعاصر»، أو «الحديث»، لصالح بدائل زمنيّة أكثر دقة وتحديدًا.

قد يُفهم من العبارات السابقة أنني أدعو إلى التوقف عن استعمال تعبيرات «بلاغة حديثة»، و«بلاغة معاصرة»، و«بلاغة جديدة»، وهو أمر قد يكون غير عمليّ إلى حد كبير. وبخاصة بالنظر إلى شيوع استعمال هذه التوصيفات، واجتذابها لاهتمام الباحثين المتعطشين إلى الفكاك من كل ما هو «ماضوي»، «قديم». وكذلك بالنظر إلى تحول بعض هذه التسميات من توصيفات زمنيّة مبهمة إلى مصطلحات متعينة الدلالة، كما هو الحال مع مصطلح «الخطابة/البلاغة الجديدة New Rhertoric» عند بيرلمان، الذي يُحيل إلى طرح محدد يطور نظريّة أرسطو في المحاجّة والبرهان. إنني - بالأحرى - أدعو إلى التحرز من استعمال هذه المفردات دون تدقيق. وهو تحرز مدفوع في الحقيقة بخبرات محبطة، ترتبط بقراءة أعمال عدّة، استعملت هذه التسميات بإطلاق مروّع. وسأضرب مثالا واحدًا جلي الدلالة في هذا السياق. ففي عام 1995 نشر الدكتور مصطفى الصاوي الجويني كتابًا يحمل عنوان «مدارس البلاغة المعاصرة»[1]، غير مقيد بشيء. ولو أننا طلبنا من عشرة باحثين ممّن لم يقرأوا الكتاب توقع محتواه، فإن محاولتهم - غالبًا - ستبوء بالفشل. فدلالة «البلاغة المعاصرة» في الكتاب لا تُحيل إلا إلى المؤسسات الجامعيّة التي كانت تدرّس مقرر البلاغة في مصر في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. والكتاب الذي لم يقيّد عنوانه شيء، لا يخرج عن حدود دولة عربيّة واحدة هي مصر، في مرحلة زمنيّة محددة، وبمفهوم محدود للمعاصرة، وللبلاغة معًا.

ينبغي ألا يُفهم أن نقدي لوصف بلاغة ما بأنها بلاغة «حديثة» أو «جديدة» أو «معاصرة» دون تقييد يقتصر على الاستعمالات العربيّة وحدها. فهذا النقد لابد أن يتوجّه إلى الكتابات الأجنبيّة أيضًا. ويكفي فقط أن أحيل إلى مثال واحد هو أن كتاب «Contemporary Rhetorical Theory» الذي يُعد أحد أهم الكتب البلاغيّة المنشورة آواخر القرن العشرين، يتضمّن تصورات نظريّة تنتمي إلى أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. ومن ثمّ، فإن دلالة الكتاب مقيدة إلى حد كبير بزمنه الخاص، ويؤدي التعامل معه بشكل مطلق إلى الوقوع لا محالة في أشكال عدّة من سوء الفهم.

فيما يتعلق بهذا البحث، فإنني أستعمل وصف «البلاغة المعاصرة»، للإشارة إلى النظريات والمنهجيات البلاغيّة التي طوّرت في المدة من ثمانينيات القرن العشرين حتى 2015. واختيار التاريخ الأول يرجع إلى أن حقبة الثمانينيات شهدت تحولات مهمة في البحث البلاغي، لاسيّما في أواخرها. ويبدو هذا التغيير جذريًا إلى حد أنه يشتهر الآن إطلاق تسمية «المنعطف البلاغي»، على الإسهامات المعرفيّة المقدّمة خلالها، اعترافًا بجذريّة هذه الإسهامات. أما اختيار التاريخ الثاني فيرجع إلى أنه تاريخ نشر أحدث الدراسات التي رجعتُ إليها. وعلى الرغم من أن

(1) الجويني، مصطفى. (1995). مدارس البلاغة المعاصرة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

معظم الدراسات التي رجعتُ إليها تنتمي إلى السنوات الخمس عشرة الأخيرة، فإن جذورها توجد في العقدين السابقين على ذلك.

لقد اخترتُ ستة توجّهات بلاغيّة لتقديمها للقارئ العربي. وبررتُ العلة وراء اختيار كل توجّه منها في سياق عرضي لأطره النظريّة ومنهجيته وفائدته المحتملة للقارئ العربي. لكن من الضروري قبل أن أتناول بالتفصيل هذه التوجّهات أن أؤكد أن اختيار هذه التوجّهات دون غيرها مدفوع بتقدير شخصي لأهميتها للقارئ العربي. ومثل كل اختيار، فإنه يقوم على آليتي اصطفاء واستبعاد تقديريتين. وربما يختلف معي باحثون آخرون - ولهم كل الحق في ذلك - في تقديري لمدى أهميّة التوجّهات التي اخترتها على حساب تلك المستبعدة. وفي الحقيقة، إنني أقر أن الخطة الأصليّة للمقال كانت تتضمّن ثلاثة توجهات إضافية، اضطررت للتخلي عنها بسبب قيود عدد صفحات المقال ؛ وهي النقد البلاغي rhetorical criticism ؛ ودراسات الحجاج argumentation studies، والبلاغة الإدراكية cognitive rhetoric. والتوجّهات الثلاثة المستبعدة لا تقل أهميّة للقارئ العربي عن التوجّهات التي أوردتها هنا. ولكني اخترتُ أن أعرض التوجّهات المعروفة بدرجة أقل بين الباحثين العرب. وفي الحقيقة، فإن الإسهام الغربي في النقد البلاغي ودراسات الحجاج، متاح في كثير من أعماله للقارئ العربي في الوقت الراهن، بفضل الترجمة أو التأليف. أما البلاغة الإدراكية فعلى الرغم من أنها حقل حديث نسبيًا إلا أنها تحظى أيضًا ببعض الاهتمام من بعض الباحثين العرب، خاصة في غمرة المنعطف الإدراكي الذي ألقى بظلاله على الدراسات العربيّة اللسانيّة والنقديّة والبلاغيّة أيضًا. وأبدأ بأول التوجّهات المختارة وهو توجّه بلاغة المرئي.

أولاً : بلاغة المرئي : من الكلمة إلى الصورة

في تصديرهما لمجلد كامل خُصّص لدراسات بلاغة المرئي، يقر تشارلز هيل ومارجريت هيلمرز Charles A. Hil & Marguerite Helmers 2004، بأن تعبير «بلاغة المرئي Visual Rhetoric»، يُستعمل للإشارة إلى كثير من الأمور المتباينة. ويُرجعان ذلك إلى أنه نادرًا ما يحدث اتفاق على ما يعنيه من يستخدمون هذه التسمية. ومن ثم، يصلان إلى نتيجة هي أن الدراسات التي تستعمل تعبير بلاغة المرئي، يصعب أن تندرج كلها في حقل معرفي واحد[1].

يرصد هيل وهيلمرز بعض الإحالات التي يُستعمل تعبير «بلاغة المرئي» للإشارة إليها. فالبعض يستعملها للإشارة إلى استخدام الرسوم البيانيّة والتوضيحيّة للتعبير عن العلاقات

(1) انظر، ص ix، Hill, C. A., & Helmers, M. (Eds.). (2012). *Defining visual rhetorics*. Routledge.

الكميّة. وفي حين يتوجّه اهتمام قطاع من باحثي بلاغة المرئي إلى دراسة العناصر المرئيّة في الإنترنت والتواصل الإلكتروني فحسب، يهتم قطاع آخر بدراسة تاريخ الفنون التشكيليّة ونظرياتها. ويرصد هيل وهيلمرز تباينًا آخر في الاهتمامات الأكاديميّة للمشتغلين ببلاغة المرئي ؛ فبعض المشتغلين يقصرها على المرئيات (الملموسة) ثنائيّة الأبعاد، في حين يذهب آخرون إلى توسيع دائرة اهتمامها لتشمل الصور الداخلية، التي تُشكّل في الذهن. وهكذا، فإن هذا الحقل المعرفي يتسع ليشمل في الوقت الراهن دراسة الإعلانات المقروءة والمصورة، والتليفزيون والسينما[1].

يُرجع هيل وهيلمرز هذا التعدد في دلالات تسمية «بلاغة المرئي»، إلى الثراء الدلالي للمفردتين اللتين تشكلانه، وهما «مرئي»، و«بلاغة». فثمة تفاوت في فهم العلماء لما هو «مرئي»، إذ يقصره البعض على الصور التمثيليّة representational images، في حين يوسّعه آخرون ليشمل كل ما صنعته يد الإنسان تقريبًا، بما يجعل بلاغة المرئي تتداخل على نحو كبير مع دراسة التصميم design. وبصياغة أكثر تفصيلاً، تذكر مورين جوجين (2004) Maureen Goggin، أن مجال بلاغة المرئي قد يضيق إلى حد اقتصاره على دراسة توزيع النصوص على الصفحات المطبوعة، وقد يوسع ليشمل دراسة تصميم النصوص على الصفحات، ويزداد اتساعًا ليشمل دراسة كل العلامات المرئيّة بما فيها فنون الأشكال التوضيحيّة والتلفزيون ووسائل الإعلام، فضلاً عن دراسة الممارسات المرئيّة المادية، من المعمار حتى صناعة الخرائط الجغرافية، ومن فن تصميم المساحات الداخليّة حتى الأبنية التي تخلد الأحداث الوطنية»[2].

بغض النظر عن هذه التباينات في تحديد مادة بلاغة المرئي، فإن دارسي بلاغة المرئي يهتمون بأسئلة معرفية محددة تعالج كيفية تأثير الصور والرسومات والأشكال التوضيحية والجداول والرسوم البيانية والصور المتحركة في اتجاهات الناس وآرائهم ومعتقداتهم[3]. وبذلك يمكن القول إن محور المقاربة البلاغيّة للمرئي هو الأبعاد الحجاجية والإقناعية للمرئيات عمومًا، وللصور على نحو الخصوص.

يحظى بحث العلاقة بين الصورة والكلمة بمساحة كبيرة من اهتمام دارسي بلاغة المرئي، وثمة رؤى متنوعة لهذه العلاقة. ويُسلّم دارسو البلاغة المرئية بأن الصورة والكلمة تكادان لا تنفصلان في الخطابات العمومية المعاصرة.

---

(1) انظر، نفسه، الصفحة نفسها.

(2) انظر، Goggin, M. D. Visual rhetoric in pens of steel and inks of silk : Challenging the great visual/verbal divide. *Defining visual rhetorics*, (2004). 87-110.

(3) نفسه، ص xi.

الانتقادات الموجهة لبلاغة المرئي

يرى هيل وهيلمرز أن دارسي البلاغة المرئية، بذلوا جهدًا محدودًا للبرهنة على جدارة انتماء دراساتهم إلى مجال الدراسات البلاغيّة، وليس إلى مجالات أخرى مثل السيميوطيقا والدراسات الثقافية، على سبيل المثال. وقد أدى ذلك إلى اتساع مساحة الخلط بين هذه المنهجيات وحقول البحث التي تتسم بقدر من التداخل في الأصل. وعلى الرغم من أن هيل وهيلمرز يعتقدان أنه من غير الممكن رسم حدود فاصلة بين هذه الحقول، فإنهما يؤكدان ضرورة تبرير الباحثين لادعائهم بانتماء البحوث التي تحمل تسمية «بلاغة المرئي» إلى دائرة الدراسات البلاغيّة[1].

إضافة إلى ذلك، ثمة نقد آخر يخص الإطار النظري لبلاغة المرئي. إذ لا يقدم توجّه بلاغة المرئي نظرية موحدة لتفسير كيف تحمل الصورة المعنى، ولا كيف تُنجز الإقناع. ووفقًا لـهيلمرز فإن بلاغة المرئي هي إطار تحليلي للبحث والتأويل[2].

ما الذي يمكن أن يفيد الباحث العربي من توجّه «بلاغة المرئي» ؟

ينطوي توجّه بلاغة المرئي على تحويل جذري في المادة التقليدية للدرس البلاغي. فقد ارتبطت البلاغة لقرون طويلة بالكلمات، في حين اهتمت فنون أخرى بالصورة، مثل الفنون الجميلة. وحين نستحضر الأعمال المؤسّسة في البلاغة غربيًا أو عربيًا، نجد أنفسنا أمام حقيقة ساطعة هي أن الدراسات البلاغيّة نادرًا ما اهتمت بأنساق علاماتية أخرى غير اللغة. بالطبع نجد في حفنة معدودة من الأعمال - مثل البيان والتبيين للجاحظ - اهتمامًا بعلامات غير لغوية، لكنه يظل اهتمامًا هامشيًا ومحدودًا واستثنائيًا في مسار الدرس البلاغي.

من بين توجّهات البلاغة المعاصرة فإنني أظن أن بلاغة المرئي تمثل منطقة البحث الأكثر خصوبة للدرس البلاغي العربي في المستقبل القريب. وأستند في رأيي هذا إلى عدد من الأسباب :

أولاً : أن الخطابات البلاغيّة الراهنة تشهد تمازجًا غير مسبوق بين الكلمة وأنساق العلامات الأخرى، ويُعد مفهوم منعطف المرئي[3] visual turn - الذي بدأ في تسعينيات القرن العشرين - اعترافًا بهذا التطور الهائل في الأنساق العلاماتية للتواصل الإنساني. ويبدو أن ثمّة علاقات ثرية

(1) نفسه، ص x.

(2) انظر، Helmers, M. (2004). Framing the fine arts through rhetoric. Defining visual rhetorics, 63-86.. ص 63.

(3) يرصد ديفيد بلاكسلي بعض ملامح المنعطف المرئي في دراسته : Blakesley, D. (2004). Defining film rhetoric : The case of Hitchcock's Vertigo. Defining visual rhetorics, 111-133.. ص 111.

مثيرة للاهتمام بين المنعطف البلاغي والمنعطف المرئي. ووفقًا لتصور بلاكسلي (Blakesley 2004) فإن المنعطف المرئي في تسعينيات القرن العشرين هو التحول الطبيعي للمنعطف البلاغي في الثمانينيات. ويفسّر ذلك بأن المنعطف البلاغي أبرز الوعي بأن وسائلنا اللفظية التي نستعملها لتمثيل الواقع لا تنفصل بسهولة عن السبل التي نستعملها للحصول على المعرفة. وباختصار، فإن اللفظي متضمّن بشكل لا مفر منه في المعرفي. ومن ثمّ، فإننا نُدرك العالم بواسطة أنظمة رمزية وسيطة. وهنا يصبح التحول إلى المنعطف المرئي حتميًا ؛ فالأنظمة الرمزية تستدعي بالضرورة تمثيلات مرئية[1].

يضعنا المنعطف المرئي أمام واقع جديد تصبح فيه المقاربات البلاغيّة التقليدية عاجزة عن معالجتها ومقاربتها. ويضعنا هذا أمام أسئلة وتحديات معرفية مثيرة، يُتوقع أن تدفع الباحثين إلى إعادة النظر في منهجيات التحليل البلاغي وأدواته على نحو جذري. وقد شرعتُ بالفعل في استكشاف إمكانيات تطوير مفاهيم بلاغيّة أساسية لتعالج هذه الكينونة المستحدثة للخطابات العمومية الراهنة. وبدأتُ بدراسة حول كيفية تطويع مفهوم أركان البلاغة maxims of rhetoric لدراسة الخطابة العربية المرئية المعاصرة[2]، وأكرّس الآن دراسة أخرى لتطوير مفاهيم الباتوس واللوجوس والإيتوس، لتتمكن من معالجة الخطابات العربية المرئية.

ثانيًا : تنوع المقاربات المعرفية التي تعالج الأبعاد البلاغيّة للعلامات المختلفة. بالإضافة إلى الأفكار المنجزة في إطار بلاغة المرئي، هناك حقلان معرفيان آخران يقدمان أدوات مهمة لمعالجة التنوع العلاماتي الراهن ؛ أولهما، وأكثرهما اتساعًا وترسخًا، هو السيميوطيقا. وهو الحقل الأم، الذي أفضّل أن أرى بلاغة المرئي بوصفها نقطة التقاء بينه وبين حقل البلاغة ؛ تهتم بالأبعاد الإقناعية والحجاجية للعلامات غير اللغوية. الحقل الثاني هو مقاربة التعدد العلاماتي multimodality، وهي مقاربة تنتمي إلى دراسات الخطاب، وتمثل أحد أكثر توجّهات تحليل الخطاب نموًا وازدهارًا في الوقت الراهن[3].

لا يمكن حصر موضوعات الدراسات العربية التي يمكن أن تُنجز في إطار بلاغة المرئي. إذ تتسم هذه المادة بالضخامة الهائلة، فثمة طوفان من العلامات غير اللغوية، من صور ورموز ورسوم ثابتة ومتحركة، تمارس أشكالا مختلفة من الحجاج والإقناع والتأثير والاستمالة والاستثارة

(1) نفسه، ص 112.

(2) انظر، عبد اللطيف، عماد. (2016). «مبادئ البلاغة : كيف نطوع البلاغة القديمة لدراسة الخطابة المرئية». ضمن «بلاغة الخطاب السياسي». تحرير محمد مشبال، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الجزائر والمغرب.

(3) لمعلومات أكثر تفصيلا بمقاربة العلامات المتعددة، انظر، عبد اللطيف، عماد. (2013). تحليل الخطاب : بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية. مجلة فصول، فصلية علمية محكمة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، عدد 83-84، 2013، ص 509 - 530.

والتحريض وغيرها من التأثيرات البلاغيّة. ودراسة الكيفية التي تُحدث بها هذه العلامات تلك التأثيرات لم تُنجَز إلا في أقل القليل من المادة الهائلة المتاحة. لا يمكن أن يشكو باحث البلاغة المعاصر من قلة المادة في هذا الميدان، فبإمكانه أن يدرس منجزات فنون بأكملها، مثل فن الكاريكاتير والجرافيتي، والكوميكس، وإعلانات التلفزيون والصحف والشوارع، ومهرجانات الدعاية السياسيّة، والبث المرئي للخطب العموميّة، وجلسات المداولات في مجالس العموم، وبرامج صناعة النجوم، ومسابقات الأطفال، وغيرها. وفي الحقيقة، فإن توافر المادة المدروسة يدعمه أيضًا توافر نسبي في المرجعيات النظريّة وأطر التحليل. ويمكن أن يجد الباحث المهتم فيما يأتي بعض الأعمال المرجعيّة في هذا الشأن.

قراءات إضافيّة حول بلاغة المرئي :

Mitchell, W. T. (1995). *Picture theory : Essays on verbal and visual representation.* University of Chicago Press.

Hill, C. A., & Helmers, M. (Eds.). (2012). *Defining visual rhetorics. Routledge.*

Elkins, J. (2001). *The domain of images.* Cornell : Cornell University Press.

Olson, L. C., Finnegan, C. A., & Hope, D. S. (2008). *Visual rhetoric : A reader in communication and American culture.* Sage.

ثانيًا : البلاغة الرقميّة والبلاغة الافتراضيّة : دراسة التواصل في العالم الافتراضي

البلاغة الرقميّة توجّه بلاغي نشأ بفضل التطور التقني الحادث في التواصل البشري. وهو يشترك مع توجهات أخرى مثل بلاغة المرئي، وبلاغة الجمهور، في كونه يمثل ضرورة معرفيّة، فرضتها الخصوصيّة النوعيّة للخطابات المعزّزة تقنيًا. ويشير جيمس زابان James Zappan (2005)، إلى أن مصطلح البلاغة الرقميّة Digital Rhetoric يتصف بأنه مثير للاهتمام وللمشاكل في الآن نفسه. ويفسر كونَ المصطلح مثيرًا للاهتمام بأنه يقدم إمكانيات بحث واعدة، أما كونه يثير مشكلات فيرجع إلى أنه يرفع الغطاء عن مشكلات وتحديات تكييف تقاليد بلاغيّة استمرت لأكثر من ألفي عام مع قيود التواصل الرقميّة الجديدة وشروطه ووسائله[1].

يوضح البحث في البلاغة الرقميّة، بحسب زابان، كيف تعمل الاستراتيجيات البلاغيّة التقليديّة في الفضاءات الرقميّة، ويقدم اقتراحات بشأن كيفيّة إدراك هذه الاستراتيجيات

(1) انظر، Zappen, J. P. (2005). Digital rhetoric : Toward an integrated theory. *Technical Communication Quarterly*, 14 (3), 319-325. ص 319.

وتصوُّرها. وعلى نحو أكثر دقة، تدرس البلاغة الرقميّة الخصائص المميِّزة لوسائل التواصل الرقمي، ومحدداتها، والإمكانيات التي تستعملها في خلق هويات فرديّة، وقدراتها في بناء جماعات اجتماعيّة. وبشكل عام، فإن هذه الدراسات، وفقًا لزابان أيضًا، تقدم مقترحات بشأن كيف يمكن توسيع مجال البلاغة التقليديّة، وإجراء تحويلات عليها ؛ لتصبح نظريّة شاملة للخطابات الرقميّة، وكيف يمكن لمثل هذه النظريّة أن تسهم في المتن الأوسع للنظريّة البلاغيّة والنقد الأدبي، وبلاغة العلم، وبلاغة التقنيّة على وجه التحديد[1].

ثمة مصطلح آخر يُحيل إلى ظواهر مقاربة لتلك التي يُحيل إليها مصطلح البلاغة الرقمية، وهو مصطلح «البلاغة الافتراضية virtual rhetoric»، ويُستعمل للإشارة إلى المادة البلاغيّة المنتجة والمتداولة في /عبر الفضاءات الافتراضية ؛ أي الفضاءات التقنيّة التي تخلق عالمًا موازيًا للعالم الحقيقي، مثل عالم أفلام الكرتون وألعاب الفيديو، وغيرها. وتُعنى البلاغة الافتراضية بدراسة كيف تختلف سبل الإقناع والتأثير المعززة بتقنيات الواقع الافتراضي عن الوسائل التقليدية[2]. والبلاغتان الرقمية والافتراضية، معنيتان بدراسة الإقناع والتأثير في الفضاءات التقنيّة، سواء أكان بواسطة اللغة أم العلامات اللغوية الأخرى.

ما الذي يمكن أن يفيده الباحث العربي من البلاغتين الرقمية والافتراضية ؟

أظن أن توجّهي البلاغة الرقمية والافتراضية يُمكن أن يُصبحا في السنوات القليلة المقبلة مجال بحث خصب للبلاغيين في العالم العربي. يرجع ذلك إلى اتساع الفضاء الرقمي، وثراء الخطابات التي تُنتج وتُتداول وتُستهلك فيه. كما أن هذا الفضاء يُنتج أنواعًا بلاغيّة جديدة، تمثّل تحديًا معرفيًا ثريًا. فأنواع مثل تغريدات تويتر، وتعليقات الفيسبوك، وتذييلات captions الصور الفوتوغرافية، والشعارات المرئية logo، وغيرها، وُلدتْ أو ازدهرتْ في الفضاء الرقمي، وأصبحت تُنتَج وتُمارَس على نطاق واسع بين شرائح ضخمة من الناس في الوقت الراهن. وتحتاج هذه الأنواع إلى معالجات بلاغيّة، تدرس خصوصياتها الأسلوبية، وسُبُلها في الإقناع والتأثير، ووظائفها البلاغية ...إلى آخره.

فضلا عن ذلك، فإن وسائل التواصل الرقمي أحدثت تحولا جذريًا في طبيعة النصوص المتداولة في النطاق العمومي ؛ فقد أدت إلى اتساع نطاق إنتاج النصوص اليومية المكتوبة وتوزيعها وتداولها. وهو ما قد يؤدي إلى تحول في مركز اهتمام الدرس البلاغي، نحو دراسة بلاغة النص المكتوب. كذلك فتَحَ التواصل الرقمي الباب على مصراعيه أمام القراء والمشاهدين

(1) نفسه، ص 319.

(2) انظر، Ulrich, M. (2015). Seeing Is Believing : Using the Rhetoric of Virtual Reality to Persuade. *Young Scholars In Writing*, 9, 5-18، ص 8.

والمستمعين لإنتاج استجابات متعددة العلامات، متباينة الوظائف. وبفضل هذه الوسائط ربما نشهد تحولًا في مركز اهتمام نظرية البلاغة وتطبيقاتها من خطاب المرسلين إلى خطابات المستقبلين، وهو ما تحاول أن تُنجزه البلاغة العربية من خلال توجه بلاغة الجَمهور[1]. وأخيرًا، فإن ظواهر التواصل في الفضاءات الافتراضية، وشيوعها، يمثل تحديًا معرفيًا كبيرًا أمام البلاغيين العرب، إذ يتعين عليهم البحث في مدى ملاءمة التنظيرات والمنهجيات البلاغيّة العربية الراهنة لدراسة النصوص والخطابات المنتجة في الفضاء الافتراضي.

قراءات إضافية في البلاغتين الرقمية والافتراضية :

Fagerjord, Anders. "Rhetorical Convergence : Studying Web Media. In *"Digital Media Revisited : Theoretical and Conceptual Innovation in Digital Domains"*. Ed. Gunnar Liestøl, Andrew Morrison, and Terje Rasmussen. Cambridge : MIT P, 2003. 293–325.

Welch, Kathleen E. Electric Rhetoric : Classical Rhetoric, Oralism, and a New Literacy. *Digital Communication*. Cambridge : MIT P, 1999.

Killoran, J. B. (2001). @ home among the. coms : Virtual Rhetoric in the Agora of the Web. *Alternative Rhetorics : Challenges to the Rhetorical Tradition*, 127-44.

ثالثًا : البلاغة عبر الثقافات : بلاغة العرب في مرايا بلاغات الآخرين

تُعد البلاغة عبر الثقافات توجّها بلاغيًا مزدهرًا في الوقت الراهن[2]. وقد سبق أن قدمتُ للقارئ العربي دراسة تسعى إلى الإفادة من دراسات البلاغة عبر التواصل في تقليل مخاطر فشل التواصل بين العرب والغرب، في إطار ما يُعرف بالحوار بين الحضارات. وقد قدمتُ في هذا العمل نبذة موجزة حول تاريخ دراسات البلاغة عبر الثقافات، التي تعود إلى مقال روبرت كابلان عام 1966 بعنوان «أنماط التفكير الثقافي في التعليم عبر الثقافات». والذي ميز فيه كابلان بين الأنماط البلاغيّة في خمس لغات هي العربية والفرنسية والصينيّة والإسبانيّة والروسية.

(1) تحاول بلاغة الجمهور تأسيس إطار نظري لدراسة استجابات الجماهير في فضاءات التواصل العمومي، مع التركيز على الفضاءات الرقمية. انظر عبد اللطيف، عماد. (2005). بلاغة المخاطَب : «البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته»، ضمن « السلطة ودور المثقف»، جامعة القاهرة، ص 7–36.

(2) تأسست مؤخرًا عدة مراكز بحثية ومشاريع بحث تركز على دراسة البلاغة بين الثقافات وعبرها ؛ مثل المركز الذي دشنته جامعة إنديانا الأمريكية لدراسة التواصل بين الثقافات، ومشروع البحث المشترك بين جامعة ستانفورد والجامعة الأمريكية بالقاهرة بعنوان «البلاغة عبر الثقافات». كما تدرس العديد من جامعات العالم مقررات متخصصة تحمل اسم «البلاغة عبر الثقافات»، مثل جامعة لند السويدية. كما عُقد مؤتمر دولي حول البلاغة عبر الثقافات في جامعة ميتشجين الأمريكية في الفترة من 2016/09/30 إلى 2016/10/2.

وذهب كابلان في مقاله إلى أن كل لغة تمثل خطابًا محددًا، يعبر عن ثقافة معينة. «الثقافة الأولى هي الثقافة الأنجلو أمريكية ؛ ويتسم خطابها بأنه واضح ومنظم ويتتابع في خط مستقيم. الثقافة الثانية هي الثقافة الشرقية ؛ ويتسم خطابها بأنه دائري يتناول موضوعه من منظورات مختلفة تجمع بينها الروابط المفتعلة لا المنطق الصارم. الثقافة الثالثة هي ثقافة الرومانس ؛ وتضم الثقافات الفرنسية والألمانيّة والإسبانيّة وغيرها ؛ ويتسم خطابها بأنه يتأسس على الاستطراد من موضوع مركزي، ويمكن أن يُشبّه بالطريق الملتوي. والثقافة الرابعة هي الثقافة السامية ؛ (وتشمل الثقافتين العربية والعبرية) ؛ وخطابها حافل بالتراكيب المتوازية التي تُكرّر ما قيل وتضيف المعلومات الجديدة بتقتير. الثقافة الخامسة والأخيرة هي الروسية ؛ ويتسم خطابها بأنه يتشكل من استطرادات طويلة وتغيرات مفاجئة تضفي عليه سمة عدم التماسك»[1].

وبغض النظر عن النقد المنهجي الذي تعرض له مقال كابلان، فقد حفّزت فكرة المقارنة بين الخطابات التي تقوم بإنتاجها ثقافات مختلفة على تقديم بحوث أصيلة تخص التجليات الخطابية للتنوع الثقافي والحضاري واللغوي في العالم[2]. وتأسس استنادًا إلى تراكم هذه الدراسات المقارنة حقل معرفي اصطلح عليه «بالبلاغة التقابلية Contrastive Rhetoric». وهو حقل معرفي يستند إلى دعوى أن الثقافات المختلفة تُنتج أنماط نصوص وخطابات مختلفة. واستهدفت دراسات البلاغة التقابلية البرهنة على هذه الدعوى، متخذة من كتابات الإنشاء compostion مادة لدراستها، ومن عملية الكتابة writing موضوعًا لها. وركزت دراسات البلاغة التقابلية معظم اهتمامها على دراسة النصوص المكتوبة في سياق اكتساب لغة ثانية second language acquisition مغايرة في ثقافتها للغة الأم[3].

لقد أدى تعرض البلاغة التقابلية للانتقاد بسبب تصورها السكوني للّغات والثقافات، والسعي نحو تجاوز هذه الانتقادات إلى الدمج بينها وبين الدراسات عبر الثقافية cross-cultural studies على يد أولا كونور Ula Connor. واستخدمت كونور مصطلح intercultural rhetoric للدلالة على الحقل الذي تشكل بواسطة هذا الدمج بين دراسة الكتابة عبر اللغات والدراسات الثقافية. ورأت أن هذا الحقل يضم القطاع الأكبر من دراسات تحليل الأنواع والنصوص، ويتيح دراسة التفاعل بين-الثقافي في المنطوق والمكتوب معًا. كما أنه يحافظ على المقاربات التقليدية التي

(1) انظر، Kaplan, R. (1966). Cultural Thought Patterns in Intercultural Education. Language Learning, 16، (1) : 1-20، نقلا عن : عبد اللطيف، عماد. (2012). البلاغة والتواصل عبر الثقافات. الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ص 102-104. و Enkvist, N. (1997). 'Why we Need Contrastive Rhetoric.' In Alternation, 4 (1) : ص 190.

(2) عبد اللطيف. (2012). مرجع سابق، ص 101-120.

(3) نفسه، ص 104.

تستخدم تحليل النصوص والأنواع والمدونات، ويضيف إليها مقاربات اثنوجرافية تفحص اللغة المستخدمة في سياقات التواصل والتفاعل[1]. لتصبح البلاغة عبر الثقافات «معنيّة باستخدام اللغة في التواصل الفعلي بين أفراد يمثلون خلفيات لغوية وثقافية مختلفة»[2].

ما الذي يمكن أن يفيده القارئ العربي من توجّه البلاغة عبر الثقافات ؟

عرف الدرس البلاغي العربي على مدار تاريخه أحادية لغوية في المدونة المدروسة. فقد كانت اللغة العربية ونصوصها وخطاباتها مركز اهتمام الدرس البلاغي نظرية وتطبيقًا. ونادرًا ما تبنى علماء البلاغة القدماء منظورات مقارنة في تحليلاتهم أو تنظيراتهم البلاغيّة. وفي المواضع المحدودة التي أشار فيها بلاغيون عرب إلى بلاغات أخرى يشيع عادة ميلٌ إلى التعميم، على نحو ما يتجلى في عبارات مثل «قيل للفارسي ما البلاغة فقال..، وقيل لليوناني ما البلاغة فقال... إلخ»[3]، كما نصادف نزعة متحيّزة، على نحو ما نرى مثلا في مقارنة الجاحظ بين الخطابة عند العرب والعجم[4]. بالطبع تغيّر هذا الواقع في العصر الحديث، وحدث تراكم جيد في الأعمال البلاغيّة المقارنة ؛ خاصة تلك التي تقارن بين البلاغة العربية وبلاغات مشابهة مثل البلاغة الفارسية[5]. لكن الدراسات البلاغية المقارنة ما تزال محدودة.

يَعِدُ توجّه البلاغة عبر الثقافات بإثراء البحث البلاغي العربي مستقبلا، بفضل الاهتمام بموضوعات غير مطروقة على نطاق واسع، تخص المقارنة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات من منظور بلاغي. لقد ركزت الدراسات التقليدية في البلاغة عبر الثقافات على النصوص التعليمية، وعلى أعمال متعلمي اللغات الأجنبية. ويمكن أن نضم إلى ذلك، مواد أخرى مثل دراسة التباينات الأسلوبية بين العربية وغيرها من اللغات كما تتجلى في الترجمات من العربية وإليها، وفي دلالات الرموز والإشارات المصاحبة للتلفظ اللغوي، وغيرها.

قراءات إضافية في البلاغة عبر الثقافات :

Connor, U., Nagelhout, E., &Rozycki, W. (Eds.). (2008). *Contrastive rhetoric : Reaching to intercultural rhetoric* (Vol. 169). John Benjamins Publishing.

(1) انظر، Connor, U. (2004).Introduction. *Journal of English for Academic* Purposes 3 (2004) 271–276، ص 273.

(2) انظر : Sarangi, S.(1995).Culture. In J.Verschueren, J. Stman, & J. Blommaert pragmatics, Philadelphia : John Benjamin. ص 22.

(3) انظر، الجاحظ. عمرو بن بحر. (ت255). البيان والتبيين.، ج1، ص 92.

(4) نفسه ج 3، ص 6–13.

(5) لثبت ببعض هذه الدراسات انظر، اللواتي، إحسان. (2014). علوم البلاغة عند العرب والفرس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

Enkvist, N. E. (1991). Discourse type, text type, and cross-cultural rhetoric. *Empirical research in translation and intercultural studies. Tübingen : Gunter Narr Verlag* 5-16.

رابعًا : البلاغة النقدية : النقد البلاغي للسلطة

تُعدُّ البلاغة النقدية Critical Rhetoric أحد أهم اتجاهين بلاغيين في البلاغة الأمريكية المعاصرة[1]. وقد ارتبطت بكتابات عالمَي بلاغة أمريكيين هما مايكل ماكجي Michael McGee وريمي مكرو Mckerrow Raymie. لكَن تأسيس هذا المشروع يرجع بشكل مباشر إلى كتابات مكرو (1989، 1991، Mckerrow 2001). وقد نشر مكرو في عام 1989 دراسته «**البلاغة النقدية : النظرية والممارسة**» التي قدّم فيها مشروع البلاغة النقدية إلى الأوساط الأكاديمية الأمريكية. وبعدها بعامين خصصت الدورية الفصلية لدراسات الكلام Quarterly Journal of Speech منتدى العدد رقم 77 للبلاغة النقدية. ويبدو أن دعوته لتأسيس مشروع البلاغة النقدية قد لاقت استجابة من بعض دارسي البلاغة الأمريكيين ؛ يظهر ذلك من القائمة الكبيرة، غير الشاملة، التي أورد فيها مكرو الدراسات البلاغيّة التي تنتمي للبلاغة النقدية[2].

تهتم البلاغة النقدية بنقد الخطاب لا إنشائه. هذا النقد يُمارَس بشكل أساس على الخطابات العامة، مثل المقالات الصحفية والبرامج الإذاعية والتليفزيونيّة ...إلخ، التي يرى مكرو أنها وإن لم تكن في حد ذاتها نصوصًا راقية فإنها تمارس تأثيرًا كبيرًا، خاصة في تشكيل الثقافات الشعبية. ويتخذ مشروع البلاغة النقدية من هذه الخطابات العامة مادة لتحليله ؛ خاصة تلك التي تُسهم في إنجاز القهر والقمع[3].

تتمثل أدوات مشروع البلاغة النقدية في بعض المفاهيم النظرية، وبعض مبادئ للممارسة. تتضمّن قائمة المفاهيم عددًا محدودًا من المفاهيم المأخوذة عن أدبيات النظرية النقدية، وبعض توجّهات ما بعد الحداثة ؛ خاصة منهاج فوكوه في تحليل الخطاب، مثل : السُلطة Power، الخطاب Discourse، المساءلة Critique، الهيمنة Hegemony، التشظي Fragmentation. وفي الواقع، فإن البناء النظري الذي تدخل فيه هذه المفاهيم لا يتأسس بوضوح. وكانت عناية مكرو بالتأسيس النظري لمشروعه محدودة في كل دراساته حول البلاغة النقدية.

تعددتْ السياقات التي يؤكد فيها مكرو أن مشروع البلاغة النقدية لا يقدم منهجًا أو إجراءات للبحث، ولا يقترح أدوات، أو عمليات، أو منطلقات للتحليل. ويتبنى مفهومًا للبلاغة

(1) انظر، Jasinski, j. 2001. Sourcebook on Rhetoric : Key Concepts in Contemporary Rhetorical Studies. Thousand Oaks, Calif : Sage Publications.، ص 116.

(2) انظر، عبد اللطيف، عماد. «نقد بلاغة السلطة، وتقويض سلطة البلاغة». مجلة نزوى، 49-58، ص 49.

(3) نفسه، ص 51.

تصبح فيه نقدًا، تُنظمه مبادئ للممارسة Principles of Practice. هذه المبادئ - بحسب ما يقدمه يازنسكي (2001)- هي :

«المبدأ الأول : النقد ممارسة وليس منهجًا. ومن ثمّ، فإن عملية الفهم لا تنفصل عن عملية التقييم.

المبدأ الثاني : الخطاب السلطوي خطاب مادي. فالخطاب لا يصف العالم فحسب بل يخلق ما يُدرك بوصفه حقيقة فيه.

المبدأ الثالث : تكوّن البلاغة معرفة اعتقادية doxatic، وليس معرفة ابستمولوجية epistemic. فالبلاغة النقدية وظيفية، ترمي إلى البحث في الكيفية التي توجِد بها الممارسات الخطابية السلطة.

المبدأ الرابع : الإسمية Nominalization فعلٌ محوري في الإنشاء البلاغي.

المبدأ الخامس : الأثر ليس هو السببية.

المبدأ السادس : الغياب له نفس أهمية الحضور في فهم الفعل الرمزي وتقييمه. والنقطة الأساسية في هذا المبدأ هي : أهمية ما يقال ربما لا تماثل أهمية ما لا يقال في كثير من الحالات.

المبدأ السابع : ينطوي التشظي على إمكانيّة تعدد التأويلات وليس التأويل الأحادي.

المبدأ الثامن : النقد أداء. ويرتبط هذا المبدأ بكون البلاغة ممارسة، وليست منهجا للتحليل»[1].

تقوم المبادئ السابقة بوظيفة الإطار العام الذي قد يوجّه إدراك البلاغي النقدي لكلٍّ من طبيعة المعرفة التي يمارسها ؛ أعني البلاغة، وطبيعة المادة التي يقوم بدراستها ؛ أعني الخطاب. وتهدف هذه المبادئ، كما صرح ماكرو بشكل مباشر، إلى وضع البلاغة في فضاء ما بعد حداثي.

ما الذي يمكن أن يفيده القارئ العربي من توجّه البلاغة النقدية ؟

تكمن أهمية البلاغة النقدية للقارئ العربي في ثلاثة أمور : الأول : أنها تحوّل اهتمام الباحث البلاغي من تحليل النصوص الأدبية إلى تحليل الخطابات الاجتماعيّة السياسيّة ؛ والثاني : أنها تمنح علم البلاغة غاية عمليّة هي مساءلة سلطة الخطاب ؛ والثالث : أنها تحاول أن تقدم منظورًا ما بعد حداثيًا للبلاغة، يربطها بخطابات المهمّشين، ويستكشف واقع التشظي

(1) انظر، يازنسكي (2001)، مرجع سابق، ص121-118. وانظر عرضًا شاملا لهذه المبادئ في : عبد اللطيف (2011)، مرجع سابق، ص 58-59.

في الخطاب، ويكرّسها لغاية مساءلة السلطة. ومن ثمّ، فإن البلاغة النقدية تسهم في تغيير إدراكنا لحدود علم البلاغة وماهيته، وبالأخص لطبيعة الأسئلة التي يطرحها، والمدونات التي يعمل عليها. ومع ذلك، فإن هشاشة التأسيس النظري والمنهجي للبلاغة النقدية يضع صعوبات أمام تبنيها بوصفها مقاربة بلاغيّة. وفي الحقيقة، فإن البلاغيّ العربيّ الذي يسعى إلى دراسة الأبعاد البلاغيّة للخطابات السلطوية يمكنه أن يفيد من مقاربات معرفية أخرى أكثر ترسخا وشمولا مثل الدراسات النقدية للخطاب Critical Discourse Studies.

قراءات إضافية في البلاغة النقدية :

McKerrow, R. E. (1989). Critical rhetoric : Theory and praxis. *Communications Monographs*. 111-19 ,(2) 56.

Zompetti, J. P. (1997). Toward a Gramscian critical rhetoric. *Western Journal of Communication* 86-66, (1) 61..

Murphy, J. M. (1995). Critical rhetoric as political discourse. *Argumentation and Advocacy*. 1 ,(1) 32.

خامسًا : القراءة الفاحصة : المقاربة الوصفية للنص البلاغي

إنّ القراءة الفاحصة – بحسب يازنسكي – إحدى أكثر الحركات أهمية في النقد البلاغي Rhetorical Criticism. ويرجع ظهورها إلى أوائل ثمانينيات القرن العشرين بواسطة إسهامات تشارلز ريدنج Charles Redding و ج. ب. موهرمان G. P. Mohrmann. وقد استندت في مشروعية ظهورها إلى النقد الذي وجهه موهرمان للدراسات البلاغيّة ؛ إذ ارتأى أن الكم الكبير من المناهج البلاغيّة النقدية الذي ظهر في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين لم يُمكّن البلاغيين من تحليل المكونات الداخلية للنصوص البلاغيّة. ويلخص يازنسكي نقد موهرمان، في أن نقاد الأدب اختاروا أن يدوروا حول موضوعات دراستهم دون أن يلجوها. وللخلاص من هذا المأزق وجد موهرمان العزاء في نقاد الأدب الذين يحفرون في أعماق الكلام. وذهب إلى أن دارسي الأدب يقدمون نموذجًا ملهمًا ومشبعًا بالنصائح التي يجب أن يحتذيها البلاغيون. ومن هنا، فإن القراءة الفاحصة تُعدُّ وثيقة الصلة بحقل الدراسات الأدبية والنقد الأدبي[1].

الغاية الأساسية للقراءة الفاحصة تتمثل في وضع النصوص بأنواعها في مركز النشاط النقدي. ويتخذ رواد القراءة الفاحصة موقفًا نقديًا من فكرة أن النصوص تتسم بالشفافية، ويتبنون بدلا من

(1) يازنسكي (2001)، مرجع سابق، ص 91.

ذلك تصورًا للنصوص بوصفها تنطوي على سلطة وتعقيد هائلين. ويحلل يازنسكي الأوصاف التي يقدمها أصحاب توجّه القراءة الفاحصة للنصوص ؛ مثل كونها تمتلك «نسيجًا بلاغيًا»، وتنطوي على «تكامل وكثافة»، وأنها «ساحة للأفعال»، وأنها تتشكل من «ديناميات داخلية». ويُلقي يازنسكي مزيدًا من الضوء على هذه التوصيفات، ويذهب إلى أن القول بأن للنص «نسيجًا texture»، ربما يهدف إلى جذب الانتباه إلى بنيته وعناصره التفاعلية، ونفى كون النص مجرد مجموعة من الكلمات والجمل والفقرات، لصالح كونه تأليفًا منظمًا من مصادر عدّة (مثل الصور، والأفكار، والحجج). أما القول بأن النصّ يمتلك تكاملا integrity فإنه وسيلة للاعتراف بكلية النص ؛ فالنصوص ليست مقتطفات متنافرة، بل هي بالأحرى منتجات خطابية مكتملة وموحدة. على نحو مشابه، يرى يازنسكي أن الكتابة عن كثافة النص تُعدُّ وسيلة للاعتراف بثراء المادة التي يحويها بين أعطافه، فالنصوص ليست قواقع فارغة، بل هي بالأحرى خزانات ملفات تحوي داخلها تبصرات - تكاد لا تنتهي - بشأن سياقاتها الخاصة. وأخيرًا، فإن وصف النصوص بأنها ساحات للأفعال، أو جذب الاهتمام لدينامياتها الداخلية، إنما هي طريقة للتأكيد على التفاعل بين العناصر والقوى المختلفة التي تشكل النصوص وتصوغها، فالنصوص ليست أشياء ساكنة، لكنها أحداث تتكشف، وأحيانًا تتحور عبر الزمن[1].

أولى مدشنو القراءة الناقدة اهتمامًا بالخطابة، التي عرّفها ليف (1986) Leff، بأنها «شكل فني» مثلها مثل الشعر والفن التشكيلي. ويرى ليف أن ثمة تمييزًا بين الخطابة وهذه الفنون، هو أن الخطابة لا تجذب الاهتمام إلى مكوناتها الفنيّة، بل بالأحرى تنفي عن نفسها هذا الاهتمام، وتُعدُّ أكثر نجاحًا حين تذوب في سياق الخبرة العادية، لا الجمالية. ويخرج من هذا بتعميم مؤداه أن النص البلاغي يُخفي تقنياته واستراتيجياته المؤسِّسة. ومن هنا تأتي أهمية القراءة الفاحصة ؛ لأنها تمكّن القراء من توظيف آليات معينة تُعرّي النص، وتكشف هذه التقنيات والاستراتيجيات. إن القراءة الفاحصة — بحسب إمي سليجال Amy Slegall- قراءة ميكروسكوبية، ترى بالتدقيق ما تراه القراءة العادية. ولكي يُنجز القراء الفاحصون هذا يُدققون في «الكلمات، والصور اللفظية، والعناصر الأسلوبية، والجمل، والأنماط الحجاجية، والوحدات الخطابية للفقرة الكاملة وما هو أكبر منها لاستكشاف مغزاها جميعًا، وغايتها في مستويات متعددة»[2].

يتساءل يازانسكي عن طبيعة الغاية التي تهدف القراءة الفاحصة إلى تحقيقها. ويرى أن غايتها هي فض مغاليق النصوص، بهدف الكشف عن كيفية عمل نصوص بلاغيّة بعينها مثل الخطب والمقالات السياسية. ويميز يازنسكي بين توجّهين أساسيين في حركة القراءة الفاحصة. الاتجاه الأول مهدت طريقه أعمال لوكاس وآخرين، وينقل يازنسكي عن لوكاس تحديده لغرض

(1) نفسه، ص 93.

(2) نقلا عن يازنسكي (2001)، مرجع سابق، ص 92.

الناقد بأنه ليس إعادة صياغة الكلام بلغته، بل فهمه فهمًا تامًا، بهدف تفتيت عناصره البلاغيّة، ومعرفة كيف توظّف بشكل فردي، وشرح كيف تتفاعل هذه العناصر لتصوغ النص بوصفه استجابة استراتيجية فنيّة لتفسير موقف محدد. وبذلك، فإن القراءة الفاحصة تُظهر كيف يتفاعل الفن (مثل النحو والأسلوب والبنية)، مع الاستراتيجية (مثل الغرض، والحجج الجلية) لتحقيق تأثير أداتي[1].

يرى يازنسكي أن الاتجاه الآخر للقراءة الفاحصة ظهر مع بعض الصيغ النظرية الأولية التي قدمها ليف. والسؤال الذي يشغل ليف في بحثه هو : «ما العلاقة المناسبة بين النظرية النقدية والممارسة النقدية ؟». وتهدف هذه المقاربة إلى إثراء المفاهيم النظرية بواسطة تجذيرها في القراءات النقدية.

هناك كتابات تطبيقية متعددة تنتمي إلى القراءة الفاحصة، منها دراسة ميرفي Murphy 1997، التي حلّل فيها خطاب بيل كلينتون في ممفيس في نوفمبر 1993. لقد ألقى كلينتون خطابه أمام تجمع من وزراء أمريكيين من ذوي الأصل الإفريقي. وقد عالج ميرفي الخطبة من منظور القراءة الفاحصة بهدف الكشف عن الطرق التي استعملها كلينتون لتوظيف التراث البلاغي الثري الذي ينتمي إلى تقاليد الوعظ الديني الشائعة بين الأمريكيين من ذوي أصل إفريقي، وبخاصة التراث الخطابي لمارتن لوثر كينج[2].

يلخص يازنسكي بعض الانتقادات التي وجّهت لتوجّه القراءة الفاحصة، ومنها النقد الذي وجهه كونديت Condit لزعم القراءة الفاحصة أنها تمثل قراءةً للمعنى ؛ إذ يرى أنها لا تقدم إلا قراءة لعدة خبرات يتيحها النص لمجموعة مختارة. أما وارنيك Warnick فقد انتقد القراءة الفاحصة لكونها تهدف إلى إضافة بُعد سحري احتفالي على خطابات السلطة. إضافة إلى ذلك، انتُقدت القراءة الفاحصة لكونها تركز على عناصر شكلية، إذ تكتفي بوصف النص فحسب، وتولي اهتمامًا هامشيًا لدراسة سياقات النص[3]. وأظن أن ثمة انتقادًا آخر يمكن توجيهه لتوجّه القراءة الفاحصة هو أن معظم الدراسات التي تنتمي إليها، اتخذت من الخطاب السياسي عمومًا، والخطابة السياسية على نحو الخصوص، موضوعًا لها. ولم يُوجَّه إلا القليل من الاهتمام للخطابات غير السياسية، وهو ما يجعل مجال حركتها محدودًا إلى درجة كبيرة.

(1) نفسه، ص 94.

(2) نفسه، ص 95.

(3) نفسه، ص 96.

ما الذي يمكن أن يفيده الباحث العربي من توجّه البلاغة الفاحصة ؟

على الرغم من أن البلاغة الفاحصة تُعد توجّها مهمًا من توجّهات البلاغة الأمريكية منذ تسعينيات القرن العشرين، فإن القارئ العربي قد يجد فيها القليل من الإلهام. يرجع ذلك إلى أن الدراسات العربية تحتفي، (قبل أن تتعرف بالقراءة الفاحصة)، بالبعدين الوصفي والتأويلي في تحليلها للنصوص. وفي الحقيقة، فإن أحد الاتهامات الموجهة لكثير من الكتابات البلاغية العربية هي أنها تستنفد جل طاقتها في وصف التشكيل البلاغي للنصوص، دون تجاوز الوصف إلى النقد مثلا. فضلاً عن ذلك، فإن القراءة الفاحصة لا تقدم إطارًا تحليليًا، أو نسقًا من المفاهيم النظرية المستقلة، بل بالأحرى مجموعة من المفاهيم المقترضة من النقد الأدبي، وعلم اللسانيات. ويمكن أن يتعزز توجه القراءة الفاحصة بواسطة الإسهام العربي الثري في حقل التحليل النصي ؛ فالبلاغة العربية الكلاسيكية تركت تراثًا هائلا من التحليلات النصية، وقوائم شديدة الثراء من الأساليب، وخبرات متراكمة بشأن عمليات إنتاج المعنى. وآمل أن يتمكن البلاغيون العرب من تقديم هذه الإسهامات على نحو دقيق للقارئ غير العربي.

قراءات إضافية في القراءة الفاحصة :

Beers, G. K., & Probst, R. E. (2013). *Notice & note : Strategies for close reading*. Portsmouth, NH : Heinemann.

Wolfreys, J. (2000). *Readings : Acts of close reading in literary theory*. Edinburgh University Press. ISO 690

البلاغة والإيديولوجيا : البلاغة في آتون الصراعات الفكرية

لا أقدم في هذا الجزء توجّها trend بلاغيًا، كما هو الحال - مثلا - في البلاغة عبر الثقافات أو بلاغة المرئي، بل أقدم منطقة بحث research area، خصوصيتها أنها تعالج العلاقات المعقدة بين البلاغة والإيديولوجيا. والتمييز الذي أضعه بين التوجّه المعرفي ومنطقة البحث يستند إلى مفهوم خاص محدد لكليهما. فمصطلح التوجّه البلاغي — كما أستعمله — يشير إلى حزمة من البحوث التي تشترك في - وتطوّر- منطلقاتها النظرية، وأسئلتها البحثية، ومنهجياتها أو مقارباتها، ومادة بحثها. فبلاغة المرئي، على سبيل المثال، تنطلق من أسس نظرية تُستمد من علوم السيميوطيقا والفنون وغيرها، وتطوّر منهجيات مشتركة في تحليل المرئي، وتتشارك أسئلة معرفية محددة، مثل العلاقة بين اللفظي والبصري، وكيفية إنجاز المرئي للإقناع والتأثير ...إلخ، وتشترك في مادة بحثها ؛ وهي العلامات المرئية على تنوعها. أما منطقة البحث، فهي حزمة من الدراسات تشترك — فحسب - في موضوعات بحثية تكرّس لها اهتمامها. فمنطقة البحث في

تاريخ البلاغة – على سبيل المثال - تضم البحوث المكرّسة لدراسة تاريخ البلاغة. وفي إطار منطقة البحث في تاريخ البلاغة تعمل العديد من المقاربات والمنهجيات والتوجهات، وتطرح العديد من الأسئلة المعرفية المتباينة، وتتنوع المنطلقات النظرية المستند إليها.

إن التمييز بين التوجّه البلاغي ومنطقة البحث البلاغي قد لا يكون – ولا يجب أن يكون – صارمًا. إذ يمكن أن تتحول مجموعة بحوث في منطقة بحث ما إلى توجّه بحثي إذا نجحت في تطوير منهجيات، وأسس نظرية، وأسئلة معرفية مشتركة. والعكس صحيح، إذ يمكن أن ينكمش توجه بحثي ليكون منطقة بحث إذا لم يوفّق في تطوير هذه العناصر المشتركة. ومن زاوية أخرى، فإن منطقة البحث يمكن أن تحتوي على أكثر من توجه ؛ ومنطقة البحث في الإيديولوجيا مثال على ذلك ؛ إذ تضم توجّهات البلاغة النقدية، والإيديوجراف، والبلاغة النسوية، والبلاغة الأفروأمريكية، وغيرها. وقد أدرجتُ منطقة البحث في البلاغة والإيديولوجيا في دراستي انطلاقًا من الأهميّة الكبيرة التي يشغلها هذا الحقل في البلاغة الغربية المعاصرة، والآثار الإيجابية التي يمكن أن تعود على البلاغة العربية المعاصرة من التلاقح مع دراساته، على نحو ما سأوضح بالتفصيل لاحقًا.

يعود ازدهار منطقة البحث في العلاقة بين البلاغة والإيديولوجيا إلى ثمانينيات القرن العشرين[1]. وكما هو متوقع، فإن البلاغيين لا يتفقون على مفهوم واحد للإيديولوجيا، مثلهم مثل بقية الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويذكر يازنسكي أن هناك مفهومين للإيديولوجيا يشيع تبنيهما بين البلاغيين ؛ الأول هو مفهومها الماركسي النقدي الشائع، الذي يُعرِّف الإيديولوجيا بأنها «وعي زائف». أما المفهوم الثاني فهو أكثر وصفية، إذ يُعرّف الإيديولوجيا بأنها «نسق من المعتقدات»، يضم الأفكار والآراء والتوجهات وغيرها[2].

ينطلق دارسو الأبعاد البلاغيّة للإيديولوجيات الكبرى من مسلمة هي أن : «أية إيديولوجيا ليست إلا بناءً بلاغيًا، لا وجود له بمعزل عن تعبيره، بوصفه نظامًا رمزيًا»[3]. ويحدد يازنسكي أهم الأسئلة التي شغلت البلاغيين المعنيين بدراسة العلاقة بين البلاغة والإيديولوجيا فيما يأتي :

أ – ما العلاقة بين الخطابات العموميّة والإيديولوجيا ؟

ب – إذا كانت الخطابات العموميّة تسهم في إنشاء الإيديولوجيا والحفاظ عليها، فكيف يُنجَز هذا التأثير ؟

ت – كيف يمكن تطويع النظرية البلاغيّة لكي تتسع للانشغالات المعرفية المتعلقة بالإيديولوجيا ؟

(1) يازنسكي، مرجع سابق، ص 312.

(2) نفسه، ص 313.

(3) مكرو 1983، نقلا عن يازنسكي، مرجع سابق، ص 313.

يقع في القلب من الإسهامات البلاغيّة الغربية في دراسة الإيديولوجيا المقترح الذي قدمه ماكجي Mac Gee 1980، وقد صك ماكجي مصطلحًا خاصًا للإشارة إلى مقترحه لدراسة العلاقة بين البلاغة والإيديولوجيا، هو مصطلح Ideograph. ويُعرّف ماكجي - في مفتتح مقاله - الإيديولوجيا في الممارسة بأنها «لغة سياسية، محفوظة في الوثائق، ولها قدرة على إملاء القرارات، والتحكم في المعتقدات والسلوكيات العموميّة»[1]. أما مصطلح Ideographs، فيشير إلى العبارات والأيقونات المحورية التي تؤسس إيديولوجيا ما. ويذكر ماكجي أنه مصطلح يراد به أن يكون وصفًا محضًا لحالة بشرية اجتماعية جوهرية. وأن محور اهتمام المصطلح هو الوظائف الاجتماعية لمفردات بعينها، بغض النظر عن وظائفها الأخلاقية أو العقلية. ويصف المفردات موضوع دراسته بأنها مجموعة من الكلمات، وليست سلسلة من الرموز التي تمثل الأفكار[2]. ويسعى ماكجي في أطروحته إلى التعريف بطرق بناء الإيديوجرافات المستعملة في الخطاب البلاغي ؛ وإلى اقتراح سبل لتقديم وصف بلاغي كامل لها.

تندرج البلاغة النقدية في إطار الإسهامات التي تدرس وجهًا من وجوه العلاقة بين البلاغة والإيديولوجيا. فكل محاولة لنقد السلطة، تنطوي بالضرورة على نقد خطاباتها (المؤدلجة). وتندرج في هذا الحقل أيضًا دراسات البلاغة النسوية والبلاغة الأفرو-أمريكية. فالبلاغة النسوية توجّه واسع الانتشار في العقود الثلاثة الماضية، يُعنى بدراسات «مناصرة المرأة، وتحليلات النظام الأبوي، وأسلوب التواصل، واستعادة خطابات المرأة وتاريخها، واستقراء النظرية من الممارسات الخطابية للمرأة، ووضع وسائل نقدية تتكيف مع الظروف الخاصة التي تواجهها المرأة بوصفها بليغة»[3]. وعلى وجه التحديد، فإن الدرس البلاغي النسوي يفحص نقديًا الخطابات والنصوص البشرية للكشف عن تحيزاتها الإيديولوجية المبنية على تمايز النوع بين ذكر وأنثى. ويفند «الأساطير»، أو «المغالطات» التي تتأسس عليها الخطابات الذكورية المهيمنة.

وعلى نحو مشابه، فإن بلاغة السود (أو ما يُطلق عليهم في السياق الأمريكي «الأفروأمريكيين»)، تتأسس على نقد جذري للخطابات والنصوص البشرية للكشف عن تحيزاتها وتمييزاتها استنادًا إلى لون الإنسان (أبيض، أسود، أصفر، ملون..إلخ)، أو عرقه (عربي، ألماني، أمريكي، إفريقي، صيني...إلخ)[4]. وقد ازدهرت هذه الدراسات في سياق حركات تحرر السود في أمريكا الشمالية، وسياق نقد الخطابات المعادية للساميّة خصوصًا، والخطابات العنصرية عمومًا بعد

(1) انظر، ماكجي 1980، ص 4-5.

(2) ماكجي، ص 8-9.

(3) انظر، «الخطابة النسوية»، ضمن موسوعة البلاغة، تحرير توماس سلوان، ترجمة نخبة، وإشراف وتقديم، عماد عبد اللطيف، نشر المركز القومي للترجمة، 2016، ج2، ص25-50.

(4) لعرضٍ وافي للبلاغة الأفروأمريكية يمكن الرجوع إلى : موسوعة البلاغة، مرجع سابق، ج1، ص 43-54.

الحرب العالميّة الثانية. ويمكن النظر إلى هذا التوجّه من توجّهات الدرس البلاغي على أنه دراسات في نقد الإيديولوجيا على نحو جذري.

ما الذي يمكن أن يفيده البحث البلاغي العربي من دراسات حقل البلاغة والإيديولوجيا ؟

يُعدُّ الحقل البحثي في البلاغة والإيديولوجيا حقلا خصبًا وواعدًا في السياق العربي. إذ تعيش المجتمعات العربية المعاصرة خلال هذا العقد في آتون من الإيديولوجيات. فالإيديولوجيات الدينية تتصارع حينًا، وتصارع الإيديولوجيات القوميّة والفكرية حينًا آخر، والمذاهب المختلفة تتناطح فيما بينها، والوضعيات المختلفة للأفراد ذوي الأجناس والأعراق والألوان المختلفة تتجلى في شكل حروب خطابية مؤدلجة. وعادة ما يقف الباحث في البلاغة العربية في قلب هذا المعترك المشتعل حائرًا، يتخندق للدفاع عن بعضها حينًا، وينصرف عن الاهتمام بها أحيانًا، غير أنه قليلا ما يُعالجها معالجة بلاغيّة. وربما يرجع هذا العزوف عن التحليل البلاغي للإيديولوجيا بالأساس إلى أن النصوص والخطابات التي تتشكل بواسطتها الإيديولوجيات لا تُدرك عادة بوصفها مادة للبحث البلاغي. فالإيديولوجيات تتجسد وتتوزع عبر خطابات الحياة اليوميّة والعادية بالأساس. بالطبع، فإن النصوص المحورية لهذه الإيديولوجيات عادة ما تكون من النصوص العليا (النصوص الدينية، الكتابات الأكاديميّة، الفلسفات ..إلخ). ومع ذلك، فإن ترويج الإيديولوجيات عادة ما يُنجز عبر النصوص والخطابات اليوميّة الوسيطة.

هناك بالطبع مساهمات مهمة في التحليل البلاغي للإيديولوجيات (الدينية والذكورية على وجه التحديد) لأساتذة مثل محمد العمري وجابر عصفور. لكن هذه الأعمال لا يُنظر إليها - غالبًا - على أنها تنتمي إلى صميم مشروعهم البلاغي. وهو ما يرجع إلى أن دراسات هذين العلَمين في الحقيقة تكاد تحوّل التحليل البلاغي إلى عتاد في معركة إيديولوجية بامتياز. وتُعد أمثال هذه الدراسات نموذجًا لما يمكن تسميته بـ«الدرس البلاغي الموجّه إيديولوجيًا». وهي دارسات مهمة ؛ لأنها تقدّم نماذج لدور التحليل البلاغي في تفكيك إيديولوجيات سائدة. لكنها - في الوقت ذاته — دراسات مربكة ؛ لأنها تُعدّ نماذج للدراسات التي يصبح فيها العلم مطية للإيديولوجيا. وفي الحقيقة، فإن بعض هذه الدراسات قد يترك آثارًا سلبية على صورة علم البلاغة ؛ بوصفه معرفة علميّة تسعى نحو تحقيق أقصى قدر ممكن من الموضوعية.

إنّ نوع التحليل البلاغي للإيديولوجيات الذي أدعو إليه في هذا البحث يختلف إلى حد ما عن التجارب الأكاديميّة الراهنة فيه من زاويتين. الأولى أنه تحليل ينطلق من أسئلة معرفية غير مهيمن عليها إيديولوجيًا. إنني أعي جيدًا أن الموضوعية التامة، والحياد الكامل للباحث حلم

مستحيل، وربما يكون كابوسًا أيضًا. فليس أكثر ألمًا من أن يتخذ الباحث موقفًا محايدًا وهو يدرس خطابات تحرض على القتل، أو تروّج للعنصرية، أو تزيّف الوعي. لكنني في الوقت ذاته، أعتقد أن الحرص على أقصى ما يمكن أن يصل إليه الباحث من حياد وموضوعية، هو الضمانة الوحيدة للحفاظ على مصداقية علم البلاغة. وهو ما يعني في النهاية الحفاظ على قدرة هذا العلم على التفنيد المعرفي للإيديولوجيات المهيمنة. وبذلك يمكنني الوصول إلى معادلة آمل أن تكون موجّهةً للدرس البلاغي العربي للإيديولوجيا هي : درجة تأثير التحليل البلاغي لإيديولوجيا ما تتناسب طرديًا مع درجة حياد وموضوعية هذا التحليل. وبصياغة أخرى ؛ كلما حرصنا على أن نتعامل بحياد وموضوعية مع الخطابات التي ندرسها (مهما بلغ تقديرنا السلبي المسبق لها)، زادت قدرتنا على مقاومة هذه الخطابات وتعريتها وتفنيدها، بل وهزيمتها أيضًا. ولأن الحديث دومًا عن تحييد التحيزات والميول المسبقة في سياق البحث العلمي أكثر سهولة من التنفيذ، أقدّم بعض الإجراءات التي يمكن أن تُنجِز هذا التحييد نسبيًا، إذ على الباحث أن :

1. يكشف عن منطلقاته النظرية وأدوات تحليله بدقة ؛

2. يكشف عن تحيزاته المسبقة، ويتأملها، ويُفسّر كيف يُزمع أن يُقيّد من تأثيرها على بحثه ؛

3. يختار عينات ممثلة لموضوع بحثه، دون اجتزاء أو تهميش ؛

4. يمارس بشكل متواصل عمليات نقد للذات من خلال تأمل الممارسة الأكاديميّة.

هذه الشروط الأربعة قد تكون ضمانة لازمة كي لا يتحول البحث البلاغي إلى مجرد قصف إيديولوجي.

موضوعات مقترحة لدراسة العلاقة بين الإيديولوجيا والبلاغة في السياق العربي :

تتعدد الموضوعات التي يمكن للباحثين العرب معالجتها في حقل دراسة العلاقة بين البلاغة والإيديولوجيا.

- دراسة كيف تُنتَج الإيديولوجيات الدينية، والعنصرية، والقوميّة، والمذهبية (الأدبية أو الفنية) بلاغيًا، وكيف تتعاضد العلامات المتعددة في إنتاجها ؛

- دراسة كيفية تأثير النصوص والخطابات المؤدلجة في البشر، وكيفية مقاومة هذا التأثير عبر التحليل والتفنيد ؛

- البحث في سبل تطوير منهجيات بلاغيّة لدراسة الإيديولوجيات الكبرى ؛

- دراسة المؤثرات الإيديولوجية في نشأة البحث البلاغي العربي وتطوره، وبخاصة في العصر الحديث. لقد دُرس باستفاضة الأثر العقيدي والمذهبي في التراث البلاغي العربي. لكن أثر الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية في تطور البحث البلاغي في العصر الحديث، لم يحظ بالاهتمام بعد.

قراءات إضافية حول حقل البحث في البلاغة والإيديولوجيا :

Moore, M. P. (1988). The rhetoric of ideology : Confronting a critical dilemma. *Southern Communication Journal*, 54 (1), 74-92.

McGee, M. C. (1980). The "ideograph" : A link between rhetoric and ideology. *Quarterly journal of speech*, 66 (1), 1-16.

Ober, J. (2009). Mass and elite in democratic Athens : Rhetoric, ideology, and the power of the people. Princeton University Press.

Moore, M. P. (1988). The rhetoric of ideology : Confronting a critical dilemma. *Southern Communication Journal*, 54 (1), 74-92.

خاتمة : البلاغة العربية والبلاغة الغربية : في ضرورة تجاوز ثنائية الصوت والصدى

على نحو ما عرضتُ سابقًا، يشهد حقل الدراسات البلاغيّة ازدهارًا كبيرًا في لغات وأكاديميات متعددة. ويعود الفضل في هذا الازدهار إلى انفتاح البحث البلاغي على دراسة العلامات غير اللغوية بالإضافة إلى اللغة، وتجاوزه للاهتمام بالنصوص والخطابات التي تنتج وتتداول في فضاءات واقعية، إلى ما يُنتج ويُتداول في فضاءات رقميّة افتراضية. فضلا عن اتساع دائرة الخطابات المدروسة لتضم الخطابات الحياتية واليوميّة إلى جوار النصوص العليا. ويمكن أن يجني البحث البلاغي العربي الكثير من الثمار من تواصله المعمق مع توجهات وتجارب بحثية أخرى.

لقد حاولتُ - على مدار هذا البحث - أن أقدم للباحثين العرب بعض أهم توجّهات الدرس البلاغي الأنجلو أمريكي فيما بين عامي 1980-2015. واقتصرتُ في تقديمي على عرض أهم أسسها النظرية والمنهجية، وإمكانيات الاستفادة منها في الدرس البلاغي العربي. ويجدر التنويه إلى أن الاستفادة الأمثل تتطلب الانخراط في نقد عميق لهذه التوجهات، واستكشاف إمكانيات توظيفها في ضوء تباين مدونات التحليل وسياقات التداول. إضافة إلى القيام بعمليات موازنة ومقارنة موضوعية بين ما أنجزناه نحن، وما أنجزه الآخرون. فلكي نفيد من الإنجاز المعرفي للآخرين، يتطلب قبل كل شيء إدراك حدود واقعنا المعرفي بدقة وموضوعية. لكي نخلق علاقة جديدة مع المنجز الغربي، نتجاوز فيها أن نكون مرددين كالصدى./.

المراجع

أولاً : العربية :

1 – الجاحظ. عمرو بن بحر. (ت 255). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998، ج 3، ص 6–13.

2 – الجويني، مصطفى. (1995). مدارس البلاغة المعاصرة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

3 – سلوان، توماس. (تحرير) موسوعة البلاغة، نشر جامعة أكسفورد، ترجمة نخبة، وإشراف وتقديم، عماد عبد اللطيف، نشر المركز القومي للترجمة، 2016.

4 – عبد اللطيف، عماد. (2005). بلاغة المخاطَب : «البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته»، ضمن «السلطة ودور المثقف»، جامعة القاهرة، ص 7–36.

أ – (2012). البلاغة والتواصل عبر الثقافات. الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

ب – (2013). تحليل الخطاب : بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية. مجلة فصول، فصلية علميّة محكمة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، عدد 84–83، 2013، ص 509 – 530.

ج– (2016). مبادئ البلاغة : كيف نطوع البلاغة القديمة لدراسة الخطابة المرئية. ضمن «بلاغة الخطاب السياسي». تحرير محمد مشبال، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الجزائر والمغرب.

د– (2011). نقد بلاغة السلطة، وتقويض سلطة البلاغة. مجلة نزوى، سلطنة عُمان، عدد 66، 49–58.

اللواتي، إحسان. (2014). علوم البلاغة عند العرب والفرس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

ثانيًا : الأجنبية :

Enkvist, N. E. (1997). Why we need contrastive rhetoric. *Alternation*, 4(1), 188-206.

Blakesley, D. (2004). Defining film rhetoric : The case of Hitchcock's Vertigo. *Defining visual rhetorics*, 111-133.

Connor, U. (2004). Introduction. *Journal of English for Academic Purposes* 3 (2004) 271–276.

Goggin, M. D. (2004). Visual rhetoric in pens of steel and inks of silk : Challenging the great visual/verbal divide. *Defining visual rhetorics*, 87-110.

Helmers, M. (2004). Framing the fine arts through rhetoric. *Defining visual rhetorics*, 63-86.

Jasinski, j. 2001. *Sourcebook on Rhetoric : Key Concepts in Contemporary Rhetorical Studies*. Thousand Oaks, Calif : Sage Publications.

Kaplan, R. (1966). Cultural Thought Patterns in Intercultural Education. *Language Learning*, 16(1) : 1-20.

Lucaites, J. L., Condit, C. M., & Caudill, S. (Eds.). (1999). *Contemporary rhetorical theory : A reader*. Guilford Press.

Sarangi, S.(1995).Culture. In J.Verschueren, J. Stman, & J. Blommaert (Eds.). *Handbook of pragmatics*, Philadelphia : John Benjamin.

Ulrich, M. (2015). Seeing Is Believing : Using the Rhetoric of Virtual Reality to Persuade. *Young Scholars In Writing, 9*, 5-18.

Zappen, J. P. (2005). Digital rhetoric : Toward an integrated theory. *Technical Communication Quarterly*, 14(3), 319-325. Chicago.

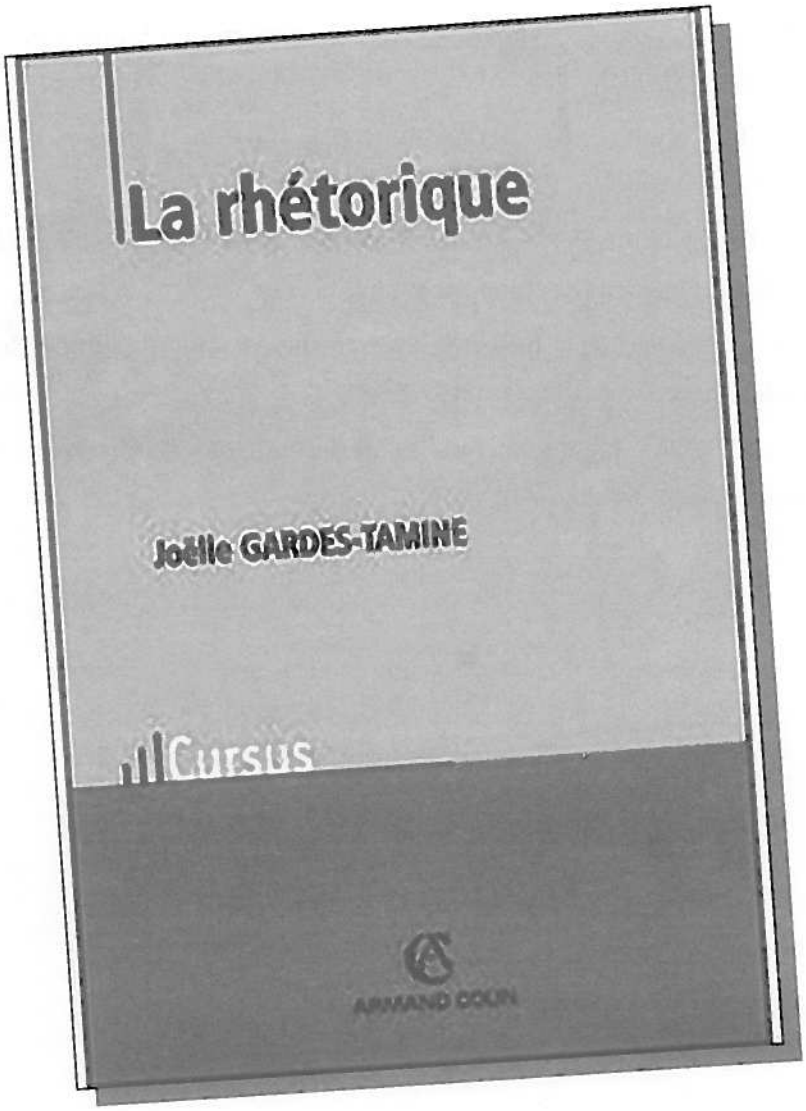
La rhétorique
Joëlle GARDES-TAMINE
Cursus
ARMAND COLIN